سمات عامة

لو نظرنا إلى مجموعة الروائيين والشعراء الذين فازوا بجائزة نوبل بين عامى ١٩٨٠ و ١٩٩٢ ، سوف نرى أن هناك سمات مشتركة يمكن جمعها فى الصفحات الآتية .. وهى :

• يمثل الأدباء الذين حصلوا على الجائزة مجموعة من الثقافات المحلية العالمية بشكل واضح ، ويتعمد أعضاء أكاديمية استوكهولم اختيار أدباء يمثلون هذه الثقافات تمثيلاً واضحًا وإن كانوا فى أغلب الأحيان لا يمثلون خيرة هذه الثقافات ، أو أفضل الحالات فيها ، فمن بلغاريا هناك الياس كانيتى ، ومن بولندا الشاعر شيزلاف ميلوش ، ومن أمريكا اللاتينية الروائى ماركيث والشاعر باث ، ومن أفريقيا مثلث يمثل أضلاع القارة الثلاثة ، فمن الشمال حيث المنطقة العربية هناك نجيب محفوظ ، ومن غرب القارة سونيكا ، ومن جنوبها نادين جورديمر ، وسوف نرى أنه فى عام ١٩٨٦ منحت الجائزة لأول مرة إلى أفريقيا ، ثم كانت المفاجأة أن تمنح ثلاث مرات لنفس القارة بعد أن تجاهلتها لأكثر من ثمانين مرة ، أما أوروبا التى كانت سيدة دائمًا فى الحصول على نوبل فقد نالت الجائزة عدة مرات ، فمن فرنسا حصل كلود سيمون ، ومن بريطانيا حصل ويليام جولدنج ، ومن أسبانيا حصل خوسيه ثيلا ، أما كانيتى فإنه عندما فاز بالجائزة كان يحمل الجنسية البريطانية ، وعندما حصل عليها كل من البولندى ميلوش ، والروسى برودسكى كانا يحملان الجنسية الأمريكية ، رغم أن حيثيات الجائزة قد أشارت إلى الجذور الثقافية التى يمثلها كل منهما ، أما من المعسكر الشرقى سابقًا فقد حصل عليها الاسمان السابقان باعتبارهما من الأدباء المنشقين ، وحصل عليها الكاتب التشيكى المعارض ياروسلاف سيفرت .

ورغم تعدد هذه الثقافات فمن الواضح أن الجائزة قد تجاهلت آسيا بأكملها طوال هذه السنوات ، كما أن الازدواجية الثقافية واضحة لدى أكثر الذين حصلوا على الجائزة ، فكانيتى بلغارى لكنه يمثل الثقافة الإنجليزية ، وكذلك ميلوش وبرودسكى وسونيكا .

كما أن الجائزة تجاهلت ثقافات أوربية عديدة مثل إيطاليا وألمانيا وشمال أوروبا . ويبدا أن هناك تركيزًا ثقيلاً على ثلاثة محاور . أفريقيا . وأمريكا اللاتينية ، وبعضا من أوروبا . ولعل هذا أيضا واضح من أسماء الأدباء الذين يتم إعلان أسمائهم سنويًا كمنتظرين للحصول على الجائزة أو ما يمكن تسميته « النوبليون » .

* رغم هذه التعددية الثقافية التى يمثلها أدباء نوبل فى هذه الفترة ، إلا أن ، أغلبهم يتعامل بلغة إبداعه مباشرة من خلال الإنجليزية ، ومن هؤلاء ميلوش الذى يعمل أستاذًا فى إحدى الجامعات الأمريكية ، وإلياس كانيتى الذى يقيم فى بريطانيا ، ثم ويليام جولدنج البريطانى ، ووول سونيكا النيجيرى ، ويوسف برودسكى الذى هاجر إلى الولايات المتحدة منذ زمن طويل . ثم نادين جورديمر من جنوب أفريقيا وديريك والكوت من ترنيداد ، أى أن أكثر من نصف الأدباء الذين حصلوا على الجائزة – سبعة أدباء – يعبرون مباشرة باللغة الإنجليزية ، ويلى ذلك فى العدد اللغة الأسبانية التى يكتب بها كل من أوكتافيوباث وماركيث وثيلا ، ثم مثل كلا من اللغة الفرنسية والعربية والتشيكية كاتب واحد هم كلود سيمون ونجيب محفوظ وياروسلاف سيفرت ، وكما أشرنا فى النقطة السابقة ، فإن عشرات اللغات فى العالم قد تم تجاهلها من قبل أكاديمية استوكهولم .

* من المعروف عادة أن جائزة نوبل فى الأدب تمنح لفرعين أساسيين فى الإبداع الإنسانى هما الشعر والرواية ، بينما لا تمنح بالمرة فى القصة القصيرة ، وإن كانت قد منحت فى بعض السنوات لفلاسفة مثل برجسون وراسل ، فإنها أيضا لا تمنح للمسرح إلا فى أضيق الحدود . وعندما تمنح لكاتب مسرحى ،

مثلاً ، فإنها تمنحه عن نشاط أدبى آخر ، مثلما حصل بيكيت على الجائزة عن روايته « وات » . ومثلما حصل سونيكا على الجائزة عن ديوانه الشعرى « مكوك فى السرداب » ، ومثلما حدث مع والكوت عن مسرحيته الشعرية « اوميروس » ولذا فإنه فى تاريخ الجائزة ، وخاصة فى الثمانينات ، كان كتاب الرواية والشعراء هم أصحاب نصيب الأسد فى عدد الجوائز .

وعادة فإن الجائزة تمنح لشاعر وروائى سنويًّا بالتبادل ، فإذا مُنح شاعر الجائزة فى عام ، فإنه فى العام التالى تمنح لروائى ، وكثيرا ما يحدث اختلال فى هذا التوازن ، لكن نسبة الاختلال لا ترتفع كثيرًا ، فبين ثلاثة عشر أديبا نال الجائزة بين عامى ١٩٨٠ و ١٩٩٢ هناك ستة شعراء . وسبعة روائيين . وقد نال ثلاثة روائيين الجائزة تباعًا من عام ١٩٨١ إلى عام ١٩٨٣ ، ثم نالها الشاعر التشيكى سيفرت ، وفى عامى ١٩٨٦ و ١٩٨٧ نالها اثنان من الشعراء . وفى عام ١٩٨٩ نالها الروائى ثيلا ثم الشاعر أوكتافيوباث عام ١٩٩٠ ، والروائية نادين جورديمر عام ١٩٩١ .

* تعتبر جائزة نوبل بمثابة جائزة تقديرية تمنح لكاتب أعطى الكثير خلال حياته وكاد أن يتوقف تقريبًا عن الإبداع ، وهذه الجائزة تختلف كثيرًا عن الجوائز الأخرى فى بقاع عديدة من العالم ، فمن المعروف أنه فى كل دولة جائزة أو أكثر تمنح لمبدع عن رواية صدرت خلال عام منحها ، مثل جونكور فى فرنسا وبووكر فى بريطانيا ، وموندبللو فى إيطاليا ، وسرفانتس فى أسبانيا وبوليتزر فى الولايات المتحدة ، وبوخنر فى ألمانيا ، وجائزة الدولة التشجيعية فى مصر ، وهذه الجائزة تمنح مرة واحدة للكاتب إلا فى ظل ظروف استثنائية صعبة مثل بوليتزر .

وهذا لا يعنى أن هذه الجوائز هى الوحيدة ، فعلى سبيل المثال فإن بفرنسا مالا يقل عن أربعمائة جائزة أدبية سنوية ، لكن أشهرها « جونكور » ، وهكذا فى الدول الأخرى .

أما الجائزة التقديرية ، وهى قليلة جدًّا فى العالم ، فتمنح لكاتب لعطائه الإجمالى ، لكن جائزة نوبل تمنح لكاتب عن هذا العطاء المجمل مع تركيز خاص على عمل بعينه ، فويليام جولدنج منح الجائزة عن رواية « إله الذباب » ونالها ماركيث عن « مائة عام من العزلة » ، وحصل عليها نجيب محفوظ عن رواية « أولاد حارتنا » مع إشارة إلى رواية « زقاق المدق » ، أما كلود سيمون فقد حصل على الجائزة عن رواية « طريق الفلاندرا » ، ونالت جورديمر الجائزة عن رواية « ابنة بيرجر » ، وحصل عليها ثيلا عن روايته « عائلة باسكال دوراته » ، كما حصل عليها سونيكا عن ديوانه الشعرى .

لذا فإن أغلب الذين حصلوا على الجائزة كانوا قد تجاوزوا الخامسة والستين حين الإعلان عن فوزهم بها ، فقد حصل عليها شيزلاف ميلوش وهو فى التاسعة والستين ، كما حصل عليها كانيتى وهو فى السادسة والسبعين ، أما جولدنج فقد حصل عليها وهو فى الثانية والسبعين ، وكان سيفرت أكبر من حصل عليها عام ١٩٨٤ وهو فى الثالثة والثمانين ، أما سيمون فقد نالها وهو فى الثانية والسبعين ، وحصل عليها نجيب محفوظ وهو فى السابعة والسبعين . ونالها باث وهو فى الرابعة والسبعين ، وحازت عليها نادين جورديمر وهى فى الثامنة والستين .

إلا أن هناك أربعة استثناءات من هذه القاعدة ، فعندما حصل عليها ماركيث كان قد تجاوز الخمسين بثلاث سنوات ، لكن سونيكا كان فى الثانية والخمسين ، أما يوسف برودسكى فهو أصغر من حصل عليها فى هذه السنوات حيث كان فى السابعة والأربعين من عمره ، ونالها والكوت وهو فى الثانية والستين ورغم ذلك فإنهم نالوا الجائزة عن أعمال إبداعية قديمة نسبيا ، فرواية ماركيث « مائة عام من العزلة » مكتوبة عام ١٩٦٨ ، أما سونيكا فقد بدا عام ١٩٨٦ حين حصل على الجائزة كأنه قد اعتزل الحياة الأدبية قبل سنوات .

• ينظر الكثيرون إلى جائزة نوبل على أساس أنها جائزة تمنح للأدب التقليدى الذى به أقل قدر من التجريب الإبداعى الشكلى ، خاصة فى الرواية ، وفى تاريخ هذه الجائزة هناك حالات استثناء واضحة ، وقفت فيه الجائزة إلى جانب أدباء التجريب مثلما فعلت مع ويليام فوكنر عن روايته « الصخب والعنف » ، ثم مع صموئيل بيكيت أحد أعمدة الرواية الجديدة فى أوروبا . أما فى الثمانينات فقد منحت مرة واحدة لهذا الأدب التجريبى من خلال كلود سيمون .

وأكاديمية استوكهولم بذلك تقف إلى جانب الأشكال الجديدة فى الأدب بجانب وقوفها إلى الإبداع التقليدى الكلاسيكى ، وبالنظر إلى روايات مثل « أولاد حارتنا » و « إله الذباب » و « عائلة باسكال ديوارته » و « ابنة بيرجر » . سنجد أنها أعمال كلاسيكية فى شكلها الأدبى ، وإن كانت نسبة التجريب فى رواية « مائة عام من العزلة » لماركيث أقل بكثير من روايات كلود سيمون .

وفى الشعر كان أغلب إبداع سونيكا وسيفرت وباث تقليديًّا ، إلا أن بعض أشعار برودسكى تغلب عليها صفة التجريب .

والمعروف أن مثل هذا المنحى قد سارت عليه اكاديميات أدبية أخرى مثل جونكور فى فرنسا ، حيث أعطت جوائزها فى بعض الأحيان لأدباء من الطليعيين أمثال مرجريت دوراس وجان رووه .

• لاحظ المتابعون للفائزين بجائزة نوبل فى خلال هذه السنوات ، وقبلها بقليل ، أنها قد منحت لأدباء اصطلح على تسميتهم بالمغمورين على مستوى القراءة العالمية ، وقد فسر البعض هذه الظاهرة فى بعض الأحيان أن أكاديمية استوكهولم ترى أن شهرة الكاتب التى يتمتع بها تعد بديلاً جيدًا عن الجائزة التى من أهم أدوارها إلقاء الأضواء على كاتب له أهميته وتقديمه إلى العالم ، وقد حدث هذا مع إلياس كانيتى وجولدنج وسيفرت وكلود سيمون وبرودسكى وثيلا ونجيب محفوظ ثم نادين جورديمر وديريك والكوت .

فعلى المستوى العالمى ، لم يكن أحد يعرف هذه الأسماء إلا بعد فوزها بالجائزة وعلى سبيل المثال ، فإن نجيب محفوظ كان كاتبًا مجهولاً تمامًا فى أوروبا ، مركز الترجمة فى العالم ، رغم محاولات عديدة لتقديمه من خلال الكتب التى ترجمت إليه . لكن اسمه أصبح مدويًا فى أماكن متفرقة من العالم بعد الجائزة ، وبعد ترجمة أعماله إلى العديد من اللغات على مستوى أكثر اتساعًا .

ورغم ذلك فإن الجائزة لم تفلح أن تلقى الأضواء على بعض الكتاب إلا لفترة قصيرة ، فما لبث الناس أن نسوا شيزلاف ميلوش وكانيتى وثيلا ، رغم أنهم لا يزالوا على قيد الحياة ، أما سيفرت فعندما مات عام ١٩٨٩ لم يذكره أحد بالمرة ، ويعتبر نجيب محفوظ الأسعد حظًا لأن العالم الآن فى حالة اكتشاف لإبداعه الكثير .

• خلقت هذه السمة السابقة ظاهرة أدبية اصطلح على تسميتها بـ «النوبوليون» وهى تعنى الأدباء الذين يتم ترشيحهم سنويًا لنيل الجائزة وتعلن أسماؤهم ، ولكن المفاجأة تتفجر حين يفوز كاتب غير موجود أصلاً فى القائمة .

ويرى القائمون على الجائزة أن الترشيح لنيل الجائزة يعادل نيلها فى الكثير من الأحيان ، وأنه لمن الشرف لكاتب أن يكون فى هذه القائمة ، وعلى سبيل المثال فإن اسم الكاتب الراحل يوسف إدريس قد أدرج بالفعل ضمن قوائم النوبليون لعامين ، وفاز بها نجيب محفوظ الذى لم يدرج فى القائمة ، كذلك فإن أسماء برودسكى وسونيكا وسيفرت لم تدرج ، بينما أن أشهر النوبليين الذين فازوا بالجائزة نادين جورديمر حيث ظلت تنتظر لأكثر من أحد عشر عامًا ، كذلك أوكتافيوباث ، وكلود سيمون ، وجولدنج وماركيث .

والغريب أن أكثر الذين فى قائمة المنتظرين قد ماتوا ، مثل الأرجنتينى بورخيس . والبريطانى جراهام جرين ، أما البعض الآخر فلا يزال فى حالة انتظار مثل الصينى العجوز با – كين بالإضافة إلى كتاب آخرين منهم ف . س . نايبول ، وجونتر جراس . وآخرين .

• هناك سمتان ملحوظتان فى بعض الأدباء الذين حصلوا على جائزة نوبل فى الأدب ، الأولى أن الجائزة قد منحت لأدباء من الكتلة الشرقية عرفوا بأنهم منشقون على النظام الشيوعى – السابق ، فى الاتحاد السوفيتى وأيضا فى الدول التى كانت تابعة له قبل أن تتفكك الكتلة الشيوعية فى نهاية عام ١٩٩١ ، وهؤلاء المنشقون قد اختاروا أن يعيشوا فى الولايات المتحدة ويحملون جنسيتها ، رغم أنهم حين حصلوا على الجائزة ذكر فى الحيثيات أنهم يمثلون وطنهم الذين انشقوا على سياسته وهجروا أرضه ، هؤلاء هم البولندى ميلوش والروسى برودسكى ، ثم كانيتى الذى يعيش فى بريطانيا ، والشاعر المعارض سيفرت ، وطوال هذه السنوات لم يمنح كاتب من الكتلة الشرقية ينتمى إلى سياستها ، وكأن الجائزة بذلك تقف لمناصرة المنشقين ، وتعلن مناهضتها للشيوعية ، ورغم انقضاء النظام الشيوعى ونهايته ، إلا أن الجائزة تصرفت دائمًا كأنها مناهضة للشيوعية فى المقام الأول .

وفى نفس الوقت منحت الجائزة فى العقدين الأخيرين لمجموعة كبيرة من الأدباء اليهود . وهى التى تجاهلت اليهود تمامًا منذ إنشائها حتى عام ١٩٦٦ ، حيث حصل عليها اثنان من اليهود هما الإسرائيلى عجنون والألمانية نيللى ساخس ، وفى السبعينات حصل عليها فى سنوات متقاربة كل من صول بيللو ، وإسحاق باسفتش سنجر ، وفى الثمانينات حصل عليها ثلاثة من اليهود هم إلياس كانيتى ، ويوسف برودسكى ، ونادين جورديمر ، أما خوسيه ثيلا فهو رئيس جمعية الصداقة الأسبانية الإسرائيلية فى بلاده .

إذن ، من هاتين النقطتين ، لا يمكن أن نفصل السياسة عن الإبداع الأدبى سواء لدى مواقف الكاتب الذى يحصل على الجائزة ، وأيضًا لدى أعضاء أكاديمية استكهولم أنفسهم . فرغم أن الأدباء الفائزين قد حصلوا على الجائزة عن أعمال إبداعية ليست ذات صلة مباشرة بالسياسة أو بالأيدولوجيات ، لكن يبقى دائمًا وجه الكاتب واسمه أمام الناس يمثل موقفًا من المجتمع ، وقضايا العالم ، وعلى

سبيل المثال فإن نادين جورديمر قد برزت منذ عام ١٩٥٨ كروائية بيضاء تكتب لمناهضة قوانين التفرقة العنصرية فى جنوب أفريقيا ، ومن المعروف أن الكاتبة قد تعرضت لضغوط سياسية واجتماعية من الحكومة الرسمية البيضاء فى بلادها ، فصودرت أعمالها ، ومنعت من السفر ، وكان أبطال رواياتها دائمًا من المناضلين اليساريين الذين يناهضون التفرقة العنصرية ، وهم بالطبع من البيض .

أما أوكتافيوباث فقد اهتمت الصحف ، صباح فوزه بالجائزة ، بأنه الكاتب الذى استقال من منصبه كسفير لبلاده المكسيك احتجاجًا على التدخل العسكرى للاتحاد السوفيتى فى تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ ، وهو موقف شخصى من الكاتب لم يكن يعبر عن الموقف الرسمى فى المكسيك ، كذلك فإن لباث المؤلفات العديدة فى السياسة .

ولا يمكن أن نعمم كلامنا عن علاقة السياسة بجائزة نوبل بشكل مباشر ، فالأديب الفرنسى كلود سيمون ليست له مواقف واضحة من السياسة والأيدولوجيا ، بمعنى أنه لم يعبر عنها كتابة ، سواء فى إبداعه أو تصريحاته ، أو مقالاته ، كما أن نجيب محفوظ لم يرتبط مباشرة بالسياسة وإن كانت أعماله لا تخلو من أحداث اجتماعية وسياسية شهدتها بلاده ، فكان شاهدًا عليها فى الكثير من رواياته ، لكن نجيب محفوظ لم يعلن أنه يتبنى موقفًا سياسيًّا انتهجه أحد أبطاله ، وإن كانت له مواقفه التى يعبر عنها أحيانا فى أحاديثه وبعض كتاباته النثرية .

هذه ، إذن بعض السمات العامة التى يمكن أن نجمعها فيما يتعلق بالأدباء الثلاثة عشر الذين حصلوا على جائزة نوبل فى الأدب بين عامى ١٩٨٠ و١٩٩٢ ، وهى سمات يجب أن نذكرها قبل أى دراسة عن جائزة نوبل بشكل عام فى تلك الفترة ، أو عن أى من الأدباء الذين حصلوا على هذه الجائزة ، أو حتى المرشحين لها ولم ينالوها بعد ، أو لعلهم لن ينالوها .